ذكاء الاعمال مفهوم اسلامي

د. محمد القاضي

المؤتمر العلمي السنوي الحادي عشر
ذكاء الأعمال واقتصاد المعرفة

جامعة الزيتونة الأردنية, كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية
23 – 26 نيسان (إبريل 2012)
عمان – الأردن

الملخص:

لا تختلف مكونات الذكاء بين النظام الوضعي المادي، والنظام الاسلامي وإنما جوهر الاختلاف فيما تاؤول إليه الاعمال التي استخدم فيها الذكاء. فقد انحصرت غايات ذكاء الاعمال في النظام الوضعي في تحقيق وتعظيم الارباح الشخصية الفردية، محددة الافاق الانسانية مختزلة دورها العظيم الرحب في قوقعة الذات ومصالحها، دون الالتفات الى الآثار الجانبية المؤثرة على الآخرين.

بينما ينظر الاسلام إلى سلامة الوسيلة والباعث وصلاح الغايات للذكاء وحددها في الاعمال الصالحة، التي تتفق مع الدور الذي أنيط بالإنسان، خلافة الارض وعمارتها، المتسقة مع المصلحة العامة والخاصة، غير ذات الضرر، فكان بذلك أن وضع ذكاء الاعمال في سياقه الحضاري، وأفاقه الواسعة المرتبطة بالإيجابية الانسانية، بأبعادها المعبرة عن الحاجات والمتطلبات السوية، المرتبطة بدالة الاعمال الصالحة المنسجمة مع تحقيق المصالح العامة، مؤكدة على أن الفرد بذكائه وعمله ما هو الا جزء من ذكاء وعمل مجتمعه. إضافةً إلى ارتباطه بالأبعاد الروحية ذات الاثر الكبير على اتساع مفهوم ذكاء الاعمال، ليشمل ضرورة تطوره حسب الزمان والمكان، وانتظار العائد العظيم من رب العالمين.

Abstract:

There is no difference on Components of intelligence between the Positive material System, and the Islamic regime, But the essence of the difference in the nature of the Business that used the Intelligence.

Have limited Purposes Business Intelligence in the Positive to the achievement of Profits of Individual and veneration. Specific Prospects.

The Islamic regime look at good method and goal besides humanitarian reeducates Substantial role of Civilization for the benefit of all mankind.

المقدمة:

لم يكن الجدل والاختلاف بهذا الاحتدام بين العلم والعلماء والناس أجمعين حول موضوع ما بالمقدار الذي فيه جدل حول الذكاء الذي يتسع مفهومه بأتساع وتعدد أوجه الحياة ومشاربها وتباين مكوناتها، فكان الاختلاف بهذا الاتساع من حيث أنواع الذكاء ومصادره وأسس القياس والتقييم والاختبارات.

ويدل هذا على أن الذكاء بعضاً من كل هذا، وإن كان لون بعض ما ذكر أكثر وضوحاً، الا أنه وبالتأكيد ليس مقتصراً على واحد بعينه. فجميع المفاهيم تجمع على أن شرط الذكاء الالمام بنوع من المعرفة واستخدامها، وسرعة استدعائها، وصهر المعارف والعلوم والتجارب، وصهرها في بوتقة الحياة الاجتماعية، والاقتصادية والسياسية والمذهبية المتشابكة ضمن بيئتها الداخلية، وأفاقها الخارجية.

والاسلام ينظر الى الذكاء من خلال نتائجه على أرض الواقع من خلال الأعمال الصالحة، النافعة، التي يضبطها معايير ذات أسس مذهبية وأخلاقية مرنة مع حركات الزمان والمكان، والتي تقتضي أن يكون هناك مرجعيات مصدرها مطلع على كافة أحوال الافراد والمجتمعات، المنزه عن التحيز عظيم المعرفة والعلم، وهذا لا يكون الا بالتشريع الالهي الذي يميز الصالح من الخبيث، قال تعالى " قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ" المائدة 100

1- مفهوم الذكاء:

ان الذكاء لغة: الفطنة والتوقد، حيث يقال ذكت النار زاد توقدها واشتعالها ويقال فلان ذكياً للدلالة على زيادة القوى العقلية،والمعرفة، والقدرة على التفكير والفهم الدقيق، والاستدلال و الادراك وربط الاسباب بالمسببات، والعلية في الاحداث والسببية، وهذا لا يأتي الا من خلال كثرت الاطلاع والالمام بالعلوم والمعلومات ومواكبة تطورها واكتساب اكبر قدر منها.

وقد تزايد الاهتمام بالذكاء في نهاية القرن الماضي وخصوصاً في العقدين الاخرين من حيث معدلاته ونموه وتشخيصه مما احدث تطوراً كبيراً في هذا الجانب من العلم والذي اوجد العديد من التعاريف نتطرق إلى ثلاثة نماذج هي: تعريف العالم النفسي " ديفيد كسلر" الذي اشار إلى أن الذكاء هو القدرة العالمية للفرد لقيامه بعمل هادف والتفكير بعقلانية والتعامل بشكل فعال مع البيئة مركزاً بهذا المفهوم للذكاء على قدرة الفرد على فهم العالم، والتعلم من التجارب، والتكيف مع المتغيرات والتحديات.

كما عرف العالم لويس ثروستون الذكاء بنظريته (العامل الاساسي للقدرات العقلية) الى سبع عوامل دالة على الذكاء (المنطق، الطلاقة بالرد(سرعة البديهة)، سرعة الإدراك. الحسي، الفهم اللفظي، التصور المكاني، الحساب العددي، قوة الذاكرة والتجميع).

وعرف العالم بيرت الذكاء بنموذجه المسمى التسلسل الهرمي والمكون من خمسة مستويات يجب أن يحتوي عليها الذكاء وهي:

- المستوى الحسي الحركي: حيث يتم تحريض الدماغ بناء على نشاط العضلات وفقاً لمحفزات تتبع من الحواس.

- الادراك الحسي: الذي يعتمد على مستوى تناسق الحركات
- مستوى التجميع: الذاكرة، المفردات، تكوين الصورة
- مستوى العلاقة: تحقيق العلاقات وتطبيقها عملياً
- مستوى دمج الذكاء العام: وهو مستوى دمج المستويات الاربع السابقة

مع هذا التعدد في مفاهيم الذكاء واختلاف مكوناتها ومقوماتها وضعت عدة مفاهيم لتقييمها حسب ما يلي:

- المفهوم الفلسفي: وشموله لجميع النواحي العقلية والمعرفية
- المفهوم البيولوجي: المبني على التكيف مع البيئة المحيطة بالفرد
- المفهوم الفسيولوجي: المهتم بتكاملية الجهاز العصبي وتناغمه مع مكونات الانسان الفسيولوجية
- المفهوم الاجتماعي: الذي يدرس بعين الاعتبار علاقة الفرد بالآخرين في حياته اليومية ضمن حلقات التركيبة الاجتماعية.
- المفهوم الاجرائي: الذي يستدل على مستوى الذكاء بالوسائل التجريبية.

2- ذكاء الاعمال:

الاعمال: كافة الافعال القادرة على الانتاج المحققة لأهداف صاحب العمل ولا يقتصر الفعل على الانتاج المادي الملموس الاقتصادي، وانما يتعدى ذلك الى كل حدث مادي او معنوي ذهني يقوم به الفرد خلال حياته والذي يمكن أن يمتد الى ما بعدها. الا ان هذا المدى في مفهوم ذكاء الاعمال يختلف بين النظام الوضعي المادي والنظام الاسلامي ولذلك سيصار الى تقسيم المصطلح بين النظامين.

وذكاء الاعمال يعني: استخدام الذكاء بكافة مفاهيمه في الاعمال وتحقيق الاهداف المتوخاة منها، وهو تحقيق أكبر ربح ممكن (تعظيم الربح) باستخدام كافة الوسائل المتاحة.

1/2 ذكاء الاعمال مفهوم وضعي" مادي":

لقد انحصر ذكاء الاعمال بمفهومه المادي بالقدرات والابداعات والمعارف والوسائل المختلفة المحفزة للغرائز الانسانية غير محسوبة النتائج الضاغطة على سلوك المستهلك لتحقيق اكبر ربح ممكن (بالوسيلة التي تحقق الغاية) من ترسيخ مقولة (نعيش لنأكل) مستخدمةً كافة أوجه الذكاء وما جادة به النظريات الاقتصادية والتسويقية ابتداءً بالفيلسوف الايطالي ميكيافلي في القرن السادس عشر مبيناً أن الغاية تبرر الوسيلة والذكاء هو الوسيلة التي تحقق الغاية. وتلاه بذلك ابو الاقتصاد الوضعي آدم سميث في كتابه ثروة الامم 1776 الذي لخص فيه مهمة الاقتصاد على انه الطريقة التي تغتني بواسطتها الامم، واضعاً الشق الاجرائي للغاية بغض النظر عن الوسيلة التي كانت ترجمتها القتل، النهب، التدمير، وسرقة ثروات الامم الاخرى. وتجسيد المصلحة الخاصة وتحقيقها هي الغاية، حيث يقول لا يعود توقعنا لغذائنا إلى احسان القصاب أو الخمار أو الخباز، بل ينبعث عن تقديرهم لمصالحهم الخاصة. اننا نخاطبهم لا على أساس انسانيتهم بل على أساس حبهم لأنفسهم، ولا نتحدث اليهم ابداً عن ضروراتنا الخاصة بل عن منافعهم. (ثروة الامم، 1910، مجلد1، ص13)

وقد ترتب على ذلك نظرية المركز والمحيط التي عملت على تفريغ ثروات الامم الضعيفة المسالمة لصالح دول المركز القوية حتى أن ذلك انطبق على الانسان حيث نقل من أرضه إلى دول المركز. فكان الاستعمار الذي يشمل بقاع الارض ما عدا دول اوروبا القديمة " الغربية منها".

كما كان لذكاء الاعمال على لسان بنتام (Bentham) بنظرية المنفعة التي حصرها بدافع الرغبة الشخصية والتي تهدف الى رفع سوية المنفعة المستفادة من الاستهلاك الى الحد الاعلى، وهي المسيطرة على السلوك الانساني، وهذا ما ذهب إليه أتباعه جيمس ميل، وجون استيوارت، وكذلك ريكاردو، وهذا ايضاً ما ذهب اليه منجر (Menger) و والرس (Warles) اصحاب المنفعة الهامشية التي اعتمدت التحليل الجزئي لتكرس الانانية الفردية بعيداً عن الاقتصاد الجمعي. حتى أن جينفز (Jevons) قال أن قضية الاقتصاد هي تعظيم المنفعة.(Theory of Political Economy) P.37

وقد ساهمت ثلة من علماء الاقتصاد وعباقرته بمعاهدة براتين وودز في سنة 1944 وانبثق عن مقرراتها انشاء صندوق النقد الدولي، والبنك الدولي. اللذان عملا على تحكم الدول الغنية بالفقيرة والسيطرة على مقدرات الامم وتلى ذللك استخدام ذكاء الاعمال بمعاهدة الجات (Gatt)، ومنظمة التجارة العالمية WTO التي عملت على إحكام سيطرت الدول الصناعية والشركات العملاقة على مصير التجارة والاقتصاد وحركة عناصر الانتاج، وكميات الانتاج واتجاهاته ونوعه.

وهنا يحضرنا قول الفيلسوف الكبير العالمي بيرناردشو عندما قالوا له ما قولك في النظام الرأسمالي وما قدمه للبشرية فأجاب:

أنه عربة لها خزان وقود كبير جداً لا ينفذ ابداً وتسير بسرعة جنونية وتفتقر إلى امرين المقود والمكابح وهي عند كل منعطف تدمر كل ما في طريقها، ووقودها المصلحة الفردية والانانية الشخصية.

لقد كانت هذه التوطئة لمفهوم ذكاء الاعمال من وجهة نظر وتطبيق النظام المادي، ليس من منطلق التفكير النقدي (Critical) Thinking السلبي المهتم بإلغاء الاخر وعدم ذكر مناقبه، وانما لبيان أن مفهوم ذكاء الاعمال عند الاخر في مجمله لم يكن دقيقاً بحيث ينطبق عليه المصطلح الشامل الجامع إنما نشاء وتعزز في بيئة اقتصرت معرفتها على الجوانب الحسية المادية وبقيت حبيسته، فهناك قول تحت الرمال المتحركة أساساً ثابتاً.

2/2 الذكاء مفهوم اسلامي:

1/2 الذكاء: لا يختلف الاسلام في مصطلح الذكاء ومتطلباته عن الانظمة الاخرى، فكثرة المعلومات، وسعة الاطلاع، والمعرفة، والعلم، والقدرة على الاستنباط وسرعة الاستدعاء، والابداع، وايجاد الحلول للمشكلات المتجددة لا بد منها. الا أن مضمون الذكاء، ومكانه يبتعد كثيراً عنها في الانظمة الاخرى.

فالإسلام يقدر التعقيدات والتركيبات المتعاقبة والمختلفة عبر الزمان والمكان، فكان لا بد من الحفاظ على المرجعية والاهداف الممزوجة بالنماذج الطازجة، وإثارة سبل التفكير الجديد المتلائم مع تجدد المصالح والمتطلبات السوية بدون فقدان الحقائق الثابتة للإسلام وهويته المميزة.

فكان بذلك أن ميز بين قشرة حبة القمح بلونها الجميل التي هي الاطار الخارجي وبين الحبة القابلة للنماء واستمرارية النوع والتكاثر.

فالذكاء بمفهومه الاسلامي هو التفاعل بين المعرفة المستقاة من العلم، الذي هو حقيقة مقطوع بها، تطابق الواقع عليها بدليل، فاذا لم يكن مقطوعاً بها، كانت وهماً أو شكاً أو ظناً. واذا ابتعدت عن الواقع، والمصلحة،العامة كانت جهلاً، واذا افتقرت الى الدليل كانت تقليداً أعمى في غير محله.

فالذكاء في الاسلام يجب أن يغني البيئة المحيطة ويثريها، ويعتمد ثوابت التشريع ولا يتقاطع معها، يمجد التفكير الحر، ويحث على التعديل، والتخيل والتفكير المتشعب الابداعي، المحطم للقوالب الجاهزة التقليدية، المتجدد المرن في التعامل مع الحدث، دون المساس بالثوابت والمنظومات القيمية الاصلية النابعة من التشريع، مميزاً بين التناقض الذي يتعين غيابه، والاختلاف الذي لا مفر من وجوده دال على التمايز بين العقول والمعارف، وحقول الاختصاص والتجارب الفردية ليغطي كل ذكاء المساحة العمياء لدى الاخرين، والاحتمالات التي لم تدرس من قبلهم، فكانت الرؤيا ووضوح تفاصيلها ما هي الا حصيلة مجموع الاضاءات الفردية مساهمة بتكاملية الصورة الاجمالية، وبكافة الوان الذكاء.

2/3 ذكاء الاعمال (مفهوم اسلامي):

قال تعالى "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ" النساء 29.

قال تعالى" وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقاً مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ " البقرة 188.

قال تعالى "وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ " القصص 77.

قال تعالى"كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ " الانعام 142.

قال تعالى"فَلا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلاَّ ما كانُوا يَعْمَلُونَ " القصص84.

قال تعالى " أم نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام نجعل المتقين كالفجار" ص 28

1/2/3 نجد من الآيات الكريمة أن هناك نوعين من الاعمال:

– أعمال الخير الصالحة المفيدة غير ذات الضرر وهي في طاعة الرحمن بداية وهذا ما وجد من اجله الانسان، فالإنسان المسلم مأمور بالعمل الصالح النابع من تفكيراً سليماً مثمراً، فالحواس وما تملك من خبرات وقدرات، والفكر والمعارف يجب أن تتجه الى المجالات التي تتقرر بناءً على المصلحة العامة ابتداءً. بالإضافة الى المصلحة الخاصة تالياً، التي لم ينكر الاسلام دوروها الهام، ولكن بما يتفق مع المصالح العامة تحقيقاً لها وعدم المساس بها.

وبذلك نجد أن مفهوم ذكاء الاعمال من منظوره الاسلامي يتقرر وفق معايير واحكام تنطلق من انه في مجال الخير، الذي هو مادة بناء المجتمع الذي يساهم في البناء الحضاري الممتد للقادم من الزمان، بأبعاده الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية التي لا تخالف شرعاً، ولا تقتصر على قطاعاً،أو مجالاً، أو مكاناً،أو زماناً، معززةً دور الانسان للقيام بالمهمة التي وجد من أجلها، خلافة الارض وعمارتها، **قال تعالى "إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً " البقرة 30، وقوله تعالى" وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ " الانعام 165**، وزود هذا الدور وعزز هذه المهمة بأسباب الذكاء ومادته الا وهو العلم والمعرفة **فقال تعالى" وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا" البقرة 31.**

وضرب لنا الله رب العالمين الامثلة على أعمال دور الذكاء فيما يقوم به الانسان من عمل نورد بعضه:

قال تعالى"أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ " البقرة 258

يورد النص القرآني حوار بين صورتين من الذكاء:

الصورة الاولى: تمثل الفكر المنفتح والمتصل والموصل بين المصلحة الفردية والمصلحة العامة، ويتمثل فيها أبعاد الحوار الايجابي والخير، والافاق الواسعة المطلة على العلم، والمعرفة، وسرعة البديهة، وصحة الاستدلال، والتصور، والصبر، وجمال القول، وقوة الحجة، وسهولة ادراكها، وعمق مدلولها فكانت الصورة الايمانية التي انبثق عنها مثالية الحلول، و واقعيتها، وصلاحيتها لكل زمان ومكان. خالدة لا يصيبها الوهن ولا الهلاك منسقة، ومرتبطة بالإيجابية الانسانية ذات البعد الروحي الذي لا تحده حدود المستدل على وجود الخالق، وعظمته، وعبادته، بالإضافة الى البعد المادي المعبر عن الحاجات، والمتطلبات المرتبطة بدالة الصالح من الاعمال، معتبر أنه جزء من مجتمعه وبيئته.

الصورة الثانية: هي لطرف حوار تقوقع على ذاته المادية، مسخراً الذكاء في حدود المصلحة الفردية مبالغاً في حجم قدراته، قاطع اهتمامه في الاخر، مختزل الكل في ذاته محدداً أن مصلحته هي السور الذي يمنع عنه خطر الاخرين، فكانت العلاقة هي العدوة وكان الموت حسب رأي الملك (النمرود) هو قتل أحد رعاياه لإثبات وجهة نظره.

ونورد مثال آخر في الذكاء بمفهومه الاسلامي وعظمة الاستدلال:

قال تعالى " وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ" الانعام 75–79.

يوجهنا النص إلى أهمية التفكر وأعمال دور الفكر والعقل بما حولك لكي تنتقل من مرحلة عدم اليقين إلى رقي اليقين الكامل، ويضعنا النص على أهمية الذكاء المثمر، المبدع المنظم، المرتقي في تدبره والمنفتح على ما حوله، وغير المقلد على غير دراية ومعرفة وعلم واطلاع.

فاهاهم قوم ابراهيم عليه الصلاة والسلام يعبدون الاصنام ووالده هو من يصنعها، ويعبدوها ولكنه لم يقتنع بها، وحاول التحقق وجرب مع الكوكب، ومع غيابه خالف معيار الاله، فلما ظهر القمر وكان نوره اكبر والذي ميزه عن الكوكب قال هذا ربي فلما غاب وأفل أدرك أنه ليس رباً، ذلك الذي يغيب ومن ثم عندما رأى الشمس وهي الاكبر والاقوى والاكثر اضاءة وهي تحقق من صفة مما يعتقد بأنه من صفات الالهة قال هذا ربي فلما أفلت، توصل إلى يقين بأن الرب الذي يعتقد به هو أكبر وأعظم من كل ذلك، وكل ما كان سابقاً جزء من خلقه. فأي ذكاءً هذا الذي اطلع وراقب، ووضع معايير، وجرب وأخذ بالدلائل والبراهين وقارن وفي النهاية استدل وايقن بعد ان اختبر كل ما سبق وتبين له أنها لا تصلح أن تكون الاله، فأين هذا الذكاء العظيم من ما يقال عن الشك الديكارتي.

ونذهب الى الدوحة القرآنية، دانية الجني، ذات الافنان المختلفة الثمرات، بنوع من ذكاء الاعمال الابداعي لم تعرف البشرية مثله من قبل ابداً وما زال حتى يومنا هذا وحتى يرث الرحمن الارض ومن عليها، صورة عبقرية من التفكير الابداعي الصالح للابعاد الاقتصادية، والاجتماعية، والانسانية.

قال تعالى" يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ" البقرة 46-49.

نتعرف في قصة سيدنا يوسف عليه السلام إلى أوجه عديدة للذكاء، وفي ميادين شتى نبدأ من معرفته بتفسير الاحلام وربطها بالواقع المادي، وهذا علم جديد في عصرنا له رواده ومتخصصينه، وكذلك معرفته بعلم النبات، واحوال والطقس والبيئة المحيطة، وعلم الاقتصاد، وطرق التخزين.

ولا يقف الذكاء عند حصيلة المعرفة والعلم بل يتعدى ذلك إلى الجوانب التطبيقية لهذه المعارف، والعلوم فيخطط لمصر كافة 15 سنة، ويرتبها على مراحل مبيناً ما يتم في كل مرحلة من أعمال ونشاط اقتصادي دقيق محدداً حجم الاستهلاك، بل يذهب الى مستويات أعلى من الذكاء بالحد من الاستنزاف، وتقليل التكاليف إلى الحد الادنى لها، وذلك من خلال توفير جهد درس القمح وطحنه، وتوفير أوعية خاصة لحفظه، بل والاحتفاظ بكمية من القمح كبذار في المستقبل، مع توفير استنزاف المزيد من الطعام للعاملين في المجالات السابقة كونهم يحتاجون إلى طاقة تمدهم للقيام بعملهم، وذلك بأن طلب منهم أن يترك القمح في سنبله الا ما كان معداً للاستهلاك المباشر السريع، وقد كشف العلم الحديث أن غلاف حبة القمح الخارجي جلاتيني عازل للرطوبة، ولا يسمح لها المرور إلى الحبة مما يحفظها جافة، ولمدة طويلة من الزمن، وصالحة للاستهلاك والزراعة، كما أن ملمس الغشاء الخارجي لحبة القمح خشن، وهو مقاوم للآفات والحشرات. وكما نرى فإن هذا الذكاء سابق لزمنه متميزاً بحلوله المتجددة المبنية على المعرفة والعلم، المتضمنة المعايير الاخلاقية ذات الدلالة الاجتماعية المهتمة بالمصلحة العامة بداية.

ونورد نوع آخر من ذكاء الاعمال، والاتقان والحرفية على مستوى عالي جداً في النص القرآني بمفهومه الاسلامي، وذلك بقصة ذي القرنين.

يقول سبحانه وهو أصدق القائلين" حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا" سورة الكهف 93-97

يجمع هذا الذكاء بين كافة مفاهيم التقييم الفلسفي الذي يجمع ذكاء هذا العبد لله النواحي العقلية والمعرفية، فكان أن قال ما مكني فيه ربي، متوكل معتقداً معيداً الحول والقوة والخير لله سبحانه، أخذاً بالأسباب يعلم ما هو مقدم عليه يحتاج إلى كل أسباب القوة والنجاح.

كما أن هذا الذكاء يجمع مفهوم الذكاء البيولوجي، الذي اختار نوعاً جديداً من مدخلات البناء غير التي كانت معروفة في ذلك الزمن، والتي كانت مقتصرة على الطين والحجر، ولكنه اختار مصهور الحديد، وأضاف عليه القطران حتى يصبح فولاذ قوياً لا يصدأ تحت عوامل المناخ والطقس، وكذلك لا يصدأ ويقاوم قوم يأجوج ومأجوج.

كما يشمل أيضاً هذا الذكاء التقييم الفسيولوجي، والمؤامة، والملائمة بين التفكير العقلي، والجهاز العصبي المخطط، والقدرة على امكانية التطبيق، وتحويلها من مجرد أفكار إلى عملية على أرض الواقع.

ويجتاز بتفوق التقييم بمفهومه الاجتماعي، فإذا القرنين لم يقيم السد هو وضده وحدهم، بل طلب من القوم المساعدة في العمل " قال ما مكني فيه ربي فأعينوني" أخذاً بعين الاعتبار الواقع الاجتماعي، معطي دوراً لهولاء القوم بأن يكونوا فاعلين مبادرين واثقين من أنفسهم متوكلين غير متواكلين.

وكان أن أقيم السد أقيم بالإبداع، والفكر، والعلم، والمجهود الجماعي الذي لم يستطيعوا قوم يأجوج ومأجوج من نقبه، وتدميره حيث انطبق على ذلك مفهوم التقييم الاجرائي.

وبذلك فإن هذا النوع من ذكاء الاعمال، قد جمع كافة أوجه الذكاء وألوانه، سابقاً لزمانه مخترعاً في ايجاد مدخلات انتاج، وتقنية عمل متفوقة، واضعاً نمط جديد لم يكن له سابقه في بناء السدود، فهذا الذكاء معني بدالة المصلحة التي أوجدت حلول مستقبلية متجددة سابقة لما سوف يحصل من مشاكل، دالة على قدرة هذا الذكاء على اجتياز الزمن واستباقه.

والنص القرآني لا تنتهي دلائله، ولا تنقضي عجائبه، فهو مرجع كل عالم وعلم ومتعلم فهذه فقط استدلالات يسيرة جداً.

وننتقل إلى حدث من ذكاء المصطفى صلى اله عليه وسلم، فعندما تنازعت القبائل بمكة بخصوص وضع الحجر الاسود في مكانه، وارادات كل قبيلة أن يكون لها شرف حمله، ووضعه في موضعه، وكادت أن تنتهي بحرب بينها، أجمعوا لتلافي ذلك أن يحكموا أول القادمين إلى الكعبة في أمرهم، وكان المصطفى عليه أفضل الصلاة واتم التسليم أول القادمين، فقالوا لقد جاء الامين وهي صفة الرسول الاكرم قبل البعثة، وقصوا عليه الامر، فطلب منهم أن يحضروا بساطاً ووضع الحجر الاسود عليه وطلب من سادة القوم جمعياً أن

يمسكوا كل من جهته بالبساط ومن ثم حمله ففعلوا ذلك معجبين ومقرين بذكاء الرسول عليه الصلاة والسلام ورجاحة عقله وعظيم حكمته، ومن ثم أخذ الحجر الاسود ووضعه في مكانه راضين بذلك لقناعتهم بفطنته وحكمته.

3/3 الأعمال غير الصالحة ((المكر)):

قال تعالى" وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ" ابراهيم 46

على الرغم من أن اعمالهم هائلة جداً حتى لشدة اتقانها، والتدبر فيها يقول الرحمن

" لتزول منه الجبال" ولكن لم يسمى ذلك تفكير وتدبير كونه غير صالح فأطلق على هذا النوع من الأعمال (مكر).

وقال تعالى" اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ" فاطر 43

وفي هذه الآية يبين لنا رب العالمين أن العمل غير الصالح مهما كانت درجة المهارة فيه فهو مكر.

ونستدل على عدم اعتراف الاسلام بمفهوم ذكاء الاعمال الا ما كان صالحاً في **قوله تعالى" قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا" الكهف 103-105**

وهنا تشير الآيات الكريمة إلى الذين يقومون بالحرام، في أعمالهم وسعيهم في تحصيل المال فقد ضاع كل هذا التفكير والتعب وحبك المؤامرات والتعديات على غير ذات فائدة ومنفعة والاكثر من ذلك يظنون بأنهم أذكياء وذلك الغباء الكبير ولهم بعد ذلك عذاب، بالضافة إلى انهم من الاخسرين.

وتأكد الآيات القرآنية أن الاعمال والتجارة ما لم تكن بالصالح في الاعمال فهم في خسارة والربح فيما يفعلون وهذا في **قوله تعالى** " **أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُاْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ" البقرة 16-18**

فهم معوقين (صم بكم)، لا يفقهون شيء، أي أنهم في غاية الغباء ولا يستخدمون ما أعطاهم ربهم فهم صم بكم، وها هم قوم شعيب عليه السلام استخدموا عقولهم بأكل أموال الناس بالباطل ليزيدوا من أرباحهم ظانين أنهم أذكياء ولكن يتوعدهم الرحمن بعذاب أليم ومن ثم ينزل بهم العقاب. والتساؤل هنا لو كانوا حقيقة أذكياء! أما كانوا عقلوا به وامتثلوا له!

1. **قال تعالى" وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَلاَ تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُواْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ وَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ" الاعراف 84-87**

وفي الاثر أن أحد رواة الحديث أراد أن يثبت وينقل حديثاً عن شخص ما قيل له هو ضمن الرواة فلما ذهب اليه ليتأكد منه بصدق الحديث وتواصل رواته واسناده، وجد هذا الشخص قد رفع طرف ثوبه إلى الاعلى موهماً فرس له بأن في ردائه طعام (شعير) لها فلما دنت منه أمسك بها وألجمها، ولما لم يكن في ردائه شيء، فسأله المتتبع للحديث: ألم يكن في ردائك أياً من الطعام لها؟ فقال: كلا وانما هي حيلة حتى أمسك بها فقال: من احتال وكذب على دابة لا يؤخذ منه حديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد انكر عليه الكذب وان كان على حيوان، ولو كان بصورة الذكاء.

نستنتج مما سلف ما يلي:

1- أن مهمة ذكاء الاعمال في النظام الوضعي المادي عملت على:

- تسخير الذكاء لتحقيق الربح الفردي الذي أضر بالعلاقات الاجتماعية، وخلق منافسة وتقاطعت بين المصالح الفردية المختلفة.
- تجاهل مصالح الاخرين والمصلحة العامة، والتي أدت إلى الحاق الضرر بالعديد من الموارد البشرية، ومستقبل الاجيال القادمة، ومثال ذلك قطع الغابات المطرية المكون لرئة الكرة الارضية، وثقب الاوزون.
- خلق ضرر بالتوازن البيئي بإحلال المنتجات الملوثة للبيئة الارضية، مثل مادة (D.D.T) التي لا تنتهي من الارض وكذلك ضرورية.
- أن الذكاء بمفهومة الوضعي المادي اختزل الفكر والابداع البشري، في المصالح المادية الفردية الانانية البحتيه بعيداً عن المصلحة الاجتماعية الجماعية، وابتعاداً عم مفهوم الكائن الاجتماعي، وأنه مدني بالطبع.

2- أن مفهوم ذكاء الاعمال اسلامياً. اشتمل حيث أخذ:

- بالمصالح العامة والخاصة، معتمداً على مرجعية الخير، والعمل الصالح كدالة أساسية في ذكاء الاعمال.

– كما أنه أخذ بسلامة الوسيلة والغاية.

– جمع بين العائد المادي في الدنيا، وثواب الاخرة فكان دائماً الربح أكبر في المحصلة النهائية، ولا خسارة من منطلق هذا المفهوم.

– حرر الفكر من عقاله المادية، وأعاد للعقل البشري وفكرة اتساعه ومرونته.

– أن ذكاء الاعمال ضمن مفهومه الاسلامي تجاوز الفردية الانانية بزمانها وجغرافيتها، إلى صالحيته لكل زمان ومكان وذلك من خلال تتبع الخير والعمل الصالح غير ذي الضرر، الذي لا تتغير مرجعياته حسب الزمان والمكان.

كشقائق النعمان البحرية يمكن أن يتمايل مع التيار دون صدمة الانجراف بعيداً عن الأهداف.

المراجع:

1- الاقتصاد السياسي، القضايا العامة، اوسكار لانكه، تعريب د. محمد سلمان حسن، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، نيسان (1982).

2- العقل، الدراسات النفسية عند الامام، ابن تيمية، د. فهمي النجار، ط 1425 هـ– 2004م

3- سيكولوجية المال، د. أكرم زيدان، عالم المعرفة، مايو (2008).

4- رجال حول الرسول، خالد محمد خالد، دار الفكر، 1984.

5- Adam Smith, The Wealth of rations, Dart and Dulton, London, 1910.

6- W.S Jevons, Theory of Political, Economy, 3rd.ed. London, 1881.